بُناة دَولَةِ الإسلام

-١٠-

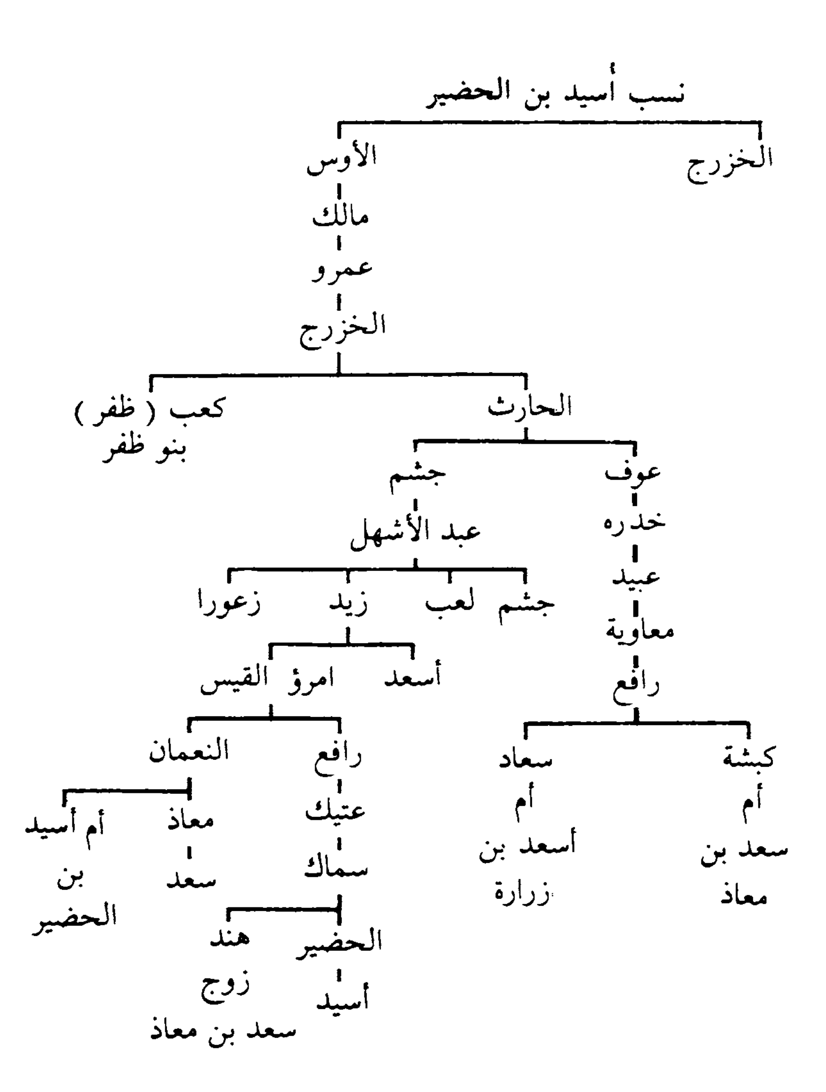
أُسَيدُ بن الحُضَير

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

"نِعْمَ الرَّجُلُ أُسَيْدُ بنُ الحُضَيْر"

ـ كَانَ أُسَيْدُ بْنُ ٱلْحُضَيْر وَعَبَّادُ بْنُ بشْرٍ عِنْدَرَسُول ٱللهِ، ﷺ، في لَيْلَةٍ ظَلْمَاءَ حِنْدِسٍ، فَتَحَدَّثَا عِنْدَهُ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجَا، أَضَاءَتْ لَهُمَا عَصَا أَحَدِهِمَا، فَمَشَيَا في ضَوْئِهَا، فَلَمَّا تفَرَّقَ لَهُمَا ٱلطَّرِيقُ؛ أَضَاءَتْ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَصَاهُ، فَمَشَىٰ فِي ضَوْئِهَا.

ـ قَالَتْ عَائِشَةُ أُمُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهَا: «ثَلاَثَةٌ مِنَ ٱلأَنْصَار، لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَسْمُو عَلَيْهِمْ فَضْلاً، سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ وَأُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ وَعَبَّادُ بْنُ بشْرٍ».


نسب أسيد بن الحضير
الخزرج
الأوس
مالك
عمرو
الخزرج
الحارث
كعب (ظفر)
بنو ظفر
عوف
جشم
خدره
عبد الأشهل
عبيد
جشم
لعب
زيد
زعورا
معاوية
أسعد
امرؤ القيس
رافع
كبشة
أم
سعد بن
معاذ
سعاد
أم
أسعد بن
زرارة
رافع
عتيك
سماك
الحضير
أسيد
هند
زوج
سعد بن معاذ
النعمان
معاذ
سعد
أم أسيد
بن
الحضير

نَسَبُ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ

كَانَتْ قبيلَتَا «ٱلأَوْس» وَ«ٱلْخَزْرَج» تَسْكُنَان ٱلْمَدِينَةَ، وَكَانَتْ بَيْنَهُمَا إِحَنٌ وَعَدَاوَاتٌ عَلَىٰ ٱلرَّغْمِ مِنْ قَرَابَتِهِمَا، إِذْ هُمَا أُخْتَان، إِلاَّ أَنَّ يَهُودَ يُثِيرُونَ مَا بَيْنَهُمَا مِنْ ضَغَائِنَ، وَلِكُلٍّ مِنْ هَاتَيْنِ ٱلْقَبِيلَتَيْنِ زَعِيمٌ، فَكَانَ سَيِّدَ «ٱلأَوْسِ» عِنْدَ ظُهُورِ دَعْوَةِ ٱلإِسْلاَمِ فِي ٱلْمَدِينَةِ «سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ» رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ، ثُمَّ غَدَا سَيِّدَ ٱلأَنْصَارِ كَافَّةً، وَكَانَ سَيِّدَ «ٱلْخَزْرَجِ» «سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ» رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ، وَكَانَتِ ٱلْخَزْرَجُ أَكْثَرَ عَدَداً وَأَكْبَرَ نَفِيراً.

وَلِكُلِّ قَبِيلَةٍ عِدَّةُ بُطُونٍ، وَلَعَلَّ مِنْ أَشْهَرِ بُطُونِ ٱلأَوْسِ وَأَكْثَرِهَا تَمَاسُكاً «بَنُو عَبْدِ ٱلأَشْهَل»، وَمِنْهُمْ سَيِّدُ ٱلأَنْصَارِ «سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ»، كَمَا كَانَ مِنْهُمْ «أُسَيدُ بْنُ ٱلْحُضَيْرِ» رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ، وَهُوَ أَحَدُ سَادَةِ ٱلأَوْسِ أَيْضاً، وَزَعِيمٌ مِنْ زُعَمَائِهِمُ ٱلْمَعْرُوفِينَ.

وَكَانَ بَيْنَ «سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ» وَ«أُسَيْدِ بْنِ ٱلْحُضَيْرِ»

سَيِّدَي ٱلأَوْسِ صِلاَتٌ قَوِيَّةٌ وَعَلاَقَةٌ مَتِينَةٌ إِضَافَةً إِلَىٰ مَا بَيْنَهُمَا مِنْ قَرَابَةٍ، فَأُمُّ أُسَيْدٍ هِيَ عَمَّةُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، وَهِيَ: (أُمُّ أُسَيْدٍ بِنْتُ ٱلنُّعْمَانِ بْنِ ٱمْرِيءِ ٱلْقَيْسِ)، وَزَوْجُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ هِيَ عَمَّةُ أُسَيْدِ بْنِ ٱلْحُضَيْرِ، وَهِيَ: (هِنْدُ بِنْتُ سِمَاكٍ)، كَمَا أَنَّهُمَا أَبْنَاءُ عَمٍّ، وَإِلَيْهِمَا تَعُودُ زَعَامَةُ بَنِي عَبْدِ ٱلأَشْهَلِ بَلْ سِيَادَةُ ٱلأَوْسِ كُلِّهِمْ.

كَانَتِ ٱلْحُرُوبُ لاَ تَنْفَكُّ بَيْنَ هَاتَيْنِ ٱلْقَبِيلَتَيْنِ، وَكَانَ آخِرَهَا يَوْمُ «بُعَاثٍ» ٱلَّذِي كَانَ قَبْلَ ٱلْهِجْرَةِ بِسِتَّةِ أَعْوَامٍ، وَقَادَ ٱلأَوْسَ فِيهَا (ٱلْحُضَيْرُ بْنُ سِمَاكٍ) وَالِدُ أُسَيْدٍ، وَقُتِلَ يَوْمَهَا، مَعَ أَنَّ ٱلأَوْسَ قَدِ ٱنْتَصَرُوا فِيهَا عَلَىٰ ٱلْخَزْرَجِ حَتَّىٰ كَادُوا يَقْضُونَ عَلَيْهِمْ وَيَهْدِمُونَ دُورَهُمْ لَوْلاَ أَبُو قَيْسِ بْنِ ٱلأَسْلَتِ أَحَدِ قَادَةِ ٱلأَوْسِ إِذْ مَنَعَ قَوْمَهُ مِنْ هٰذَا ٱلْعَمَلِ.

وَرِثَ أُسَيْدٌ عَنْ أَبِيهِ ٱلشَّرَفَ وَٱلسِّيَادَةَ فِي قَوْمِهِ، كَمَا وَرِثَ عَنْهُ مَعْرِفَةَ ٱلْقِرَاءَةِ وَٱلْكِتَابَةِ، وَحُسْنَ ٱلرَّمْيِ وَإِجَادَةَ ٱلْعَوْمِ عَلَىٰ ٱلرَّغْمِ مِنْ أَنَّ ٱلْمَدِينَةَ مِنْطَقَةٌ دَاخِلِيَّةٌ، وَلَيْسَ فِيهَا مِيَاهٌ جَارِيَةٌ، وَمَنْ كَانَ فِي مِثْلِهَا قَلَّ أَنْ يُحْسِنَ ٱلسِّبَاحَةَ، وَمَنْ كَانَ يُجِيدُ هٰذِهِ ٱلأُمُورَ يُسَمَّىٰ (ٱلْكَامِلَ) لِقِلَّةِ ذٰلِكَ وَنَدْرَتِهِ، لِذَا فَقَدْ كَانَ أُسَيْدٌ يُعْرَفُ بِهٰذِهِ ٱلصِّفَةِ، كَمَا كَانَ أَبُوهُ يُسَمَّىٰ

بذٰلِكَ. وَيُكَنَّىٰ أُسَيْدٌ (أَبَا يَحْيَىٰ)، وَتُوُفِّيَ ٱبْنُهُ (يَحْيَىٰ) وَلَمْ يُنْجِبْ، وكَانَتْ أُمُّهُ مِنْ (كِنْـدَةَ)، كَمَـا يُكَنَّـىٰ أُسَيْـدٌ (أَبَـا ٱلْحُضَيْرِ).

إسلام أُسَيْدِ بْنِ الحُضَيْرِ

بُعِثَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ فِي مَكَّةَ، وَكَانَتِ ٱلْوَثَنِيَّةُ تَعُمُّ ٱلْجَزِيرَةَ وَمِنْ ضِمْنِهَا مَكَّةُ وَٱلْمَدِينَةُ، فَدَعَا رَسُولُ ٱللهِ ﷺ لِلإِسْلَامِ سِرّاً، ثُمَّ جَهَرَ بِٱلدَّعْوَةِ بَعْدَ أَعْوَامٍ ثَلَاثَةٍ مِنَ ٱلْعَمَلِ ٱلسِّرِّيِّ، وَبَدَأَ يَبُثُّ دَعْوَتَهُ إِلَىٰ كُلِّ مَنْ يَلْتَقِي بِهِ سَوَاءٌ أَكَانَ مِنْ دَاخِلَ بَلْدَتِهِ أَمْ مِنْ خَارِجِهَا، وَقَبْلَ هِجْرَتِهِ ﷺ بِأَرْبَعِ سَنَوَاتٍ وَفِي ٱلْعَامِ ٱلَّذِي تَلاَ يَوْمَ بُعَاثٍ ٱلْتَقَىٰ ﷺ أَثْنَاءَ ٱلْمَوْسِمِ بِجَمَاعَةٍ مِنَ ٱلْخَزْرَجِ فَدَعَاهُمْ إِلَىٰ ٱلإِسْلَامِ، وَكَانَ فِي أَنْفُسِهِمْ شَيْءٌ مِمَّا يَسْمَعُونَهُ، وَهُمْ فِي ٱلْمَدِينَةِ، مِنْ يَهُودِهَا عَنْ بِعْثَةِ نَبِيٍّ قَرُبَ وَقْتُ ظُهُورِهِ، يَسْتَظْهِرُ بِهِ ٱلْيَهُودُ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِنَّهُ لَلنَّبِيُّ ٱلَّذِي تَوَعَّدَكُمْ بِهِ يَهُودُ، فَلاَ يَسْبِقُنَّكُمْ إِلَيْهِ، فَأَجَابُوهُ إِلَىٰ مَا دَعَاهُمْ بِأَنْ صَدَّقُوهُ، وَقَبِلُوا مِنْهُ مَا عَرَضَ عَلَيْهِمْ مِنَ ٱلإِسْلَامِ. وَقَالُوا لِلرَّسُولِ ﷺ: «إِنَّا قَدْ تَرَكْنَا قَوْمَنَا وَلاَ قَوْمَ بَيْنَهُمْ مِنَ ٱلْعَدَاوَةِ وَٱلشَّرِّ مَا بَيْنَهُمْ، وَعَسَىٰ أَنْ يَجْمَعَنَا ٱللهُ بِكَ، فَسَنَقْدُمُ عَلَيْهِمْ فَنَدْعُوهُمْ لِأَمْرِكَ، وَنَعْرِضُ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِي أَجَبْنَاكَ إِلَيْهِ مِنْ هٰذَا ٱلدِّينِ، فَإِنْ

يَجْمَعْهُمُ ٱللهُ عَلَيْكَ فَلاَ رَجُلَ أَعَزَّ مِنْكَ». ثُمَّ ٱنْصَرَفُوا إِلَىٰ بِلاَدِهِمْ، وَكَانُوا سِتَّةَ نَفَرٍ مِنَ ٱلْخَزْرَجِ، وَفِيهِمْ أَبُو أُمَامَةَ أَسْعَدُ ابْنُ زُرَارَةَ[1] رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ، فَلَمَّا قَدِمُوا ٱلْمَدِينَةَ ٱتَّجَهُوا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ. فَذَكَرُوا لَهُمْ رَسُولَ ٱللهِ ﷺ، وَدَعُوهُمْ إِلَىٰ ٱلإِسْلاَمِ حَتَّىٰ فَشَا فِيهِمْ، فَلَمْ تَبْقَ دَارٌ مِنَ ٱلدُّورِ إِلاَّ وَفِيهَا ذِكْرُ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ.

فَلَمَّا كَانَ ٱلْمَوْسِمُ ٱلثَّانِي وَافَاهُ مِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ٱثْنَا عَشَرَ رَجُلاً، وَٱلْتَقَوْا بِرَسُولِ ٱللهِ ﷺ بِٱلْعَقَبَةِ، وَبَايَعُوهُ بَيْعَةَ ٱلْعَقَبَةِ ٱلأُوْلَىٰ، وَعِنْدَمَا رَجَعُوا إِلَىٰ مَدِينَتِهِمْ أَرْسَلَ مَعَهُمْ (مُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ)[2] رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ.

---

(١) أسعد بن زرارة، أبو أمامة: ابن عُدَس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار، وأمه سعاد بنت رافع بن معاوية أخت كبشة أم سعد بن معاذ، ويقال: إنه أول من أسلم من النفر الستة الذين كانوا معه، وشهد بيعة العقبة الأولى، والثانية، وكان أحد النقباء الاثني عشر، وهو نقيب بني النجار، وهو أول من صلى الجمعة بالناس في المدينة، وتوفي قبل غزوة بدر.

(٢) مصعب بن عمير، أبو عبد الله: ابن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي، ويُعرف باسم مصعب الخير، من جلّة الصحابة وفضلائهم، هاجر إلى الحبشة، ثم بعثه رسول الله ﷺ إلى المدينة ليعلّم الأنصار الإسلام، وكان يحمل لواء المهاجرين يوم بدر، كما كان معه لواء المسلمين يوم أحد، واستشهد يومذاك، قتله ابن قميئة، تزوج حمنة بنت جحش، ابنة عمة رسول الله ﷺ أميمة، وهي أخت أم المؤمنين زينب بنت جحش. وكان =

نَزَلَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ بِٱلْمَدِينَةِ فِي مَنْزِلِ أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ، فَكَانَ يُقْرِىءُ ٱلنَّاسَ ٱلْقُرْآنَ، وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْإِسْلَامَ، وَيُفَقِّهُهُمْ فِي ٱلدِّينِ، وَيُعْرَفُ بِٱسْمِ «ٱلْمُقْرِىء»، وَكَانَ يَزُورُ مَعَ مُضِيفِهِ أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ بَعْضَ أَحْيَاءِ ٱلْمَدِينَةِ، وَخَرَجَا ذَاتَ يَوْمٍ يُرِيدَانِ دَارَ بَنِي عَبْدِ ٱلْأَشْهَلِ وَدَارَ بَنِي ظَفَرٍ، وَكِلَاهُمَا بَطْنٌ مِنَ ٱلْأَوْسِ، فَدَخَلَا حَائِطاً مِنْ حَوَائِطِ بَنِي ظَفَرٍ فَجَلَسَا، وَٱجْتَمَعَ إِلَيْهِمَا رِجَالٌ مِمَّنْ أَسْلَمَ، وَسَمِعَ بِٱلْخَبَرِ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، وَأُسَيْدُ بْنُ ٱلْحُضَيْرِ، وَهُمَا يَوْمَئِذٍ سَيِّدَا ٱلْأَوْسِ، وَعَلَىٰ دِينِ قَوْمِهِمَا مِنَ ٱلْوَثَنِيَّةِ.

قَالَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ لِأُسَيْدِ بْنِ ٱلْحُضَيْرِ: لَا أَبَا لَكَ، ٱنْطَلِقْ إِلَىٰ هٰذَيْنِ ٱلرَّجُلَيْنِ ٱللَّذَيْنِ قَدْ أَتَيَا دَارَيْنَا، لِيُسَفِّهَا ضُعَفَاءَنَا، فَٱزْجُرْهُمَا وَٱنْهَهُمَا عَلَىٰ أَنْ يَأْتِيَا دَارَيْنَا، فَإِنَّهُ لَوْلَا أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ مِنِّي حَيْثُ عَلِمْتَ، كَفَيْتُكَ ذٰلِكَ، هُوَ ٱبْنُ خَالَتِي، وَلَا أَجِدُ عَلَيْهِ مَقْدَمَا.

أَخَذَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ حَرْبَتَهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَيْهِمَا. فَلَمَّا رَآهُ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ قَالَ لِمُصْعَبٍ: إِنْ جَلَسَ فَكَلِّمْهُ، فَوَقَفَ

= له منها إبنة تدعى (زينب) تزوجها عبد الله بن عبد الله ابن أبي أمية المخزومي.

عَلَيْهِمَا مُتَشَتِّماً، فَقَالَ: مَا جَاءَ بِكُمَا إِلَيْنَا تُسَفِّهَانِ ضُعَفَاءَنَا؟ ٱعْتَزِلاَنَا إِنْ كَانَتْ لَكُمَا بِأَنْفُسِكُمَا حَاجَةٌ.

قَالَ لَهُ مُصْعَبٌ: أَوَ تَجْلِسُ فَتَسْمَعَ، فَإِنْ رَضِيتَ أَمْراً قَبِلْتَهُ، وَإِنْ كَرِهْتَهُ كُفَّ عَنْكَ مَا تَكْرَهُ؟، سَمِعَ أُسَيدُ هٰذَا ٱلْكَلاَمَ فَرَآهُ جَمِيلاً مَقْبُولاً، لاَ يُمْكِنُ إِلاَّ أَنْ يُقِرَّهُ ٱلْعَاقِلُ، وَيَرْضَىٰ بِهِ ٱلْحَلِيمُ.

قَالَ: أَنْصَفْتَ. ثُمَّ رَكَزَ حَرْبَتَهُ، وَجَلَسَ إِلَيْهِمَا فَكَلَّمَهُ مُصْعَبٌ بِٱلْإِسْلاَمِ وَقَرَأَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْآنَ، فَقَالاَ فِي نَفْسَيْهِمَا: وَٱللّٰهِ لَقَدْ عَرَفْنَا فِي وَجْهِهِ ٱلْإِسْلاَمَ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ، فِي إِشْرَاقِهِ وَتَسَهُّلِهِ.

قَالَ: مَا أَحْسَنَ هٰذَا ٱلْكَلاَمَ وَأَجْمَلَهُ! كَيْفَ تَصْنَعُونَ كَيْ تَدْخُلُوا فِي هٰذَا ٱلدِّين؟

قَالاَ لَهُ: تَغْتَسِلُ فَتَتَطَهَّرُ، وَتَشْهَدُ شَهَادَةَ ٱلْحَقِّ، فَفَعَلَ، ثُمَّ قَامَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْن.

قَالَ: إِنَّ وَرَائِي رَجُلاً إِنِ ٱتَّبَعَكُمَا لَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْهُ أَحَدٌ مِنْ قَوْمِهِ، وَسَأُرْسِلُهُ إِلَيْكُمَا ٱلْآنَ، وَهُوَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ.

ثُمَّ أَخَذَ حَرْبَتَهُ، وَٱنْصَرَفَ إِلَىٰ سَعْدٍ وَقَوْمِهِ، وَهُمْ جُلُوسٌ

فِي نَادِيهِمْ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ سَعْدٌ مُقْبلاً قَالَ: أَحْلِفُ بِٱللهِ لَقَدْ جَاءَكُمْ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ بِغَيْرِ ٱلْوَجْهِ ٱلَّذِي ذَهَبَ بِهِ مِنْ عِنْدِكُمْ، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَى ٱلنَّادِي.

قَالَ سَعْدٌ: مَا فَعَلْتَ؟

قَالَ: كَلَّمْتُ ٱلرَّجُلَيْنِ، فَوَٱللهِ مَا رَأَيْتُ بِهِمَا بَأْساً، وَقَدْ نَهَيْتُهُمَا، فَقَالاَ: نَفْعَلُ مَا أَحْبَبْتَ، وَقَدْ حُدِّثْتُ أَنَّ بَنِي حَارِثَةَ قَدْ خَرَجُوا إِلَى أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ لِيَقْتُلُوهُ، وَذٰلِكَ أَنَّهُمْ قَدْ عَرَفُوا أَنَّهُ ٱبْنُ خَالَتِكَ، لِيَخْفِرُوكَ. وَقَامَ سَعْدٌ مُغْضَباً مُبَادِراً تَخَوُّفاً لِلَّذِي ذُكِرَ لَهُ مِنْ بَنِي حَارِثَةَ، فَأَخَذَ ٱلْحَرْبَةَ مِنْ يَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: وَٱللهِ مَا أَرَاكَ أَغْنَيْتَ شَيْئاً، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْهِمَا، فَلَمَّا رَآهُمَا سَعْدٌ مُطْمَئِنَّيْنِ عَرَفَ أَنَّ أُسَيْداً إِنَّمَا أَرَادَ مِنْهُ أَنْ يَسْمَعَ مِنْهُمَا، فَوَقَفَ عَلَيْهِمَا مُتَشَتِّماً، ثُمَّ قَالَ لأَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ: يَا أَبَا أُمَامَةَ! أَمَا وَٱللهِ لَوْلاَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ مِنَ ٱلْقَرَابَةِ مَا رُمْتَ مِنِّي هٰذَا، أَتَغْشَانَا فِي دَارِنَا بِمَا نَكْرَهُ. وَقَدْ قَالَ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ لِمُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ: أَيْ مُصْعَبُ! جَاءَكَ وَٱللهِ سَيِّدُ مَنْ وَرَاءَهُ مِنْ قَوْمِهِ، وَإِنْ يَتْبَعْكَ لاَ يَتَخَلَّفْ عَنْكَ مِنْهُمُ ٱثْنَانِ.

قَالَ مُصْعَبٌ: أَوَ تَقْعُدُ فَتَسْمَعَ، فَإِنْ رَضِيتَ أَمْراً وَرَغِبْتَ

فِيهِ قَبِلْتَهُ، وَإِنْ كَرِهْتَ عَزَلْنَا عَنْكَ مَا تَكْرَهُ؟

قَالَ سَعْدٌ: أَنْصَفْتَ، ثُمَّ رَكَزَ حَرْبَتَهُ وَجَلَسَ. فَعَرَضَ عَلَيْهِ ٱلْإِسْلَامَ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْآنَ، قَالَا: فَعَرَفْنَا وَٱللهِ فِي وَجْهِهِ ٱلْإِسْلَامَ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ لِإِشْرَاقِهِ وَتَسَهُّلِهِ. وَبَعْدَ حَدِيثِ مُصْعَبٍ، قَالَ سَعْدٌ: كَيْفَ تَصْنَعُونَ إِنْ أَنْتُمْ أَسْلَمْتُمْ وَدَخَلْتُمْ فِي هٰذَا ٱلدِّيْنِ؟. قَالَا: تَغْتَسِلُ فَتَتَطَهَّرُ وَتُطَهِّرُ ثَوْبَكَ، ثُمَّ تَشْهَدُ شَهَادَةَ ٱلْحَقِّ. فَفَعَلَ، ثُمَّ قَامَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ أَخَذَ حَرْبَتَهُ، فَأَقْبَلَ عَامِداً إِلَىٰ نَادِي قَوْمِهِ وَقَدْ أَخَذَ مَعَهُ أُسَيْدَ بْنَ حُضَيْرٍ. فَلَمَّا رَآهُ قَوْمُهُ مُقْبِلاً قَالُوا: نَحْلِفُ بِٱللهِ لَقَدْ رَجَعَ إِلَيْكُمْ سَعْدٌ بِغَيْرِ ٱلْوَجْهِ ٱلَّذِي ذَهَبَ بِهِ مِنْ عِنْدِكُمْ، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهِمْ قَالَ: يَا بَنِي عَبْدِ ٱلْأَشْهَلِ، كَيْفَ تَعْلَمُونَ أَمْرِي مِنْكُمْ؟ قَالُوا: سَيِّدُنَا، وَأَوْصَلُنَا وَأَفْضَلُنَا رَأْياً، وَأَيْمَنُنَا نَقِيبَةً، قَالَ: فَإِنَّ كَلَامَكُمْ عَلَيَّ حَرَامٌ، حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِٱللهِ وَرَسُولِهِ. فَمَا أَمْسَىٰ فِي دَارِ بَنِي عَبْدِ ٱلْأَشْهَلِ رَجُلٌ وَلَا ٱمْرَأَةٌ إِلَّا مُسْلِمٌ وَمُسْلِمَةٌ.

ٱنْتَقَلَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ إِلَىٰ بَيْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ ٱلَّذِي أَصْبَحَ ٱلْمَرْكَزَ ٱلْإِسْلَامِيَّ فِي ٱلْمَدِينَةِ، وَبَدَأَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ وَأُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ، وَهُمَا سَيِّدَا ٱلْأَوْسِ يَوْمَئِذٍ، يُكَسِّرَانِ أَصْنَامَ قَبِيلَتِهِمَا.

بَيْعَةُ العَقَبَةِ الثَّانِيَة

دَخَلَ أُسَيْدُ بْنُ ٱلْحُضَيْرِ فِي ٱلْإِسْلَامِ بِكُلِّ جَوَارِحِهِ، وَقَدَّمَ لَهُ كُلَّ إِمْكَانَاتِهِ وَطَاقَاتِهِ، وَبَذَلَ فِي سَبِيلِهِ رُوحَهُ وَمَا يَمْلِكُ، وَهٰذِهِ صِفَةُ ٱلْمُسْلِمِ ٱلْكَامِلِ.

وَجَاءَ ٱلْمَوْسِمُ، وَتَدَاعَىٰ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ لِلْخُرُوجِ إِلَىٰ مَكَّةَ حُجَّاجاً، وَسَارَ ٱلرَّكْبُ، وَفِيهِمْ سَبْعُونَ مُسْلِماً لاَ يَعْلَمُهُمْ قَوْمُهُمْ، كَمَا رَافَقَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ هٰذَا ٱلرَّكْبَ مَعَ أَسْعَدَ ٱبْنِ زُرَارَةَ. وَٱلْتَقَىٰ ٱلْمُسْلِمُونَ مَعَ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ أَوْسَطَ أَيَّامِ ٱلتَّشْرِيقِ فِي ٱلْعَقَبَةِ حَسْبَ مَوْعِدٍ مَضْرُوبٍ مِنَ ٱلْمَوْسِمِ ٱلْمَاضِي. وَبَعْدَ ٱللِّقَاءِ وَٱلْحَدِيثِ ٱلَّذِي دَارَ بَيْنَ ٱلْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ ٱلْمُطَّلِبِ ٱلَّذِي كَانَ مَعَ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ وَقَدْ جَاءَ يَسْتَوْثِقُ لِٱبْنِ أَخِيهِ، وَإِنْ كَانَ عَلَىٰ دِينِ قَوْمِهِ بَعْدُ، و يَحضَرُ ما يتِمُّ بَيْنَ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ وبَيْنَ ٱلأَنْصَارِ ثُمَّ تَكَلَّمَ رَسُولُ ٱللهِ فَقَالَ رَسُولُ ٱللهِ لِلأَنْصَارِ: أَخْرِجْوا لِي مِنْكُمُ ٱثْنَيْ عَشر نَقِيباً لِيَكُونُوا عَلَىٰ قَوْمِهِمْ بِمَا فِيهِمْ. فَأَخْرَجُوا مِنْهُمُ ٱثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً، تِسْعَةً مِنَ ٱلْخَزْرَجِ وَثَلاَثَةً مِنَ ٱلأَوْسِ. وَكَانَ أُسَيْدُ بْنُ

ٱلْحُضَيْر أَحَدَ ٱلثَّلاَثَـةِ مِـنَ ٱلأَوْس مَـعَ أَبـي ٱلْهَيْثَـمِ بْـنِ ٱلتَّيهَان[1] وَسَعْدِ بْنِ خَيْثَمَةَ[2].

وَبَايَعَ ٱلْمُسْلِمُونَ مِنَ ٱلأَنْصَار رَسُولَ ٱللهِ ﷺ بَيْعَةَ ٱلْعَقَبَةِ، وَلَمْ يَعْلَمْ بذٰلِكَ رَكْبُ ٱلْمَدِينَةِ مِمَّنْ لَمْ يُسْلِمْ، كَمَا لَمْ تَعْلَمْ بذٰلِكَ قُرَيْشٌ وَعِنْدَمَا وَصَلَ إِلَيْهَا ٱلْخَبَرُ سَأَلَتِ ٱلرَّكْبَ فَنَفَى ذٰلِكَ، وَعَادَ ٱلرَّكْبُ إِلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ، وَتَأَكَّدَتْ قُرَيْشٌ مِمَّا وَصَلَ إِلَيْهَا فَتَبعَتِ ٱلْقَوْمَ وَأَسَرَتْ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ[3] رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ.

---

(١) أبو الهيثم بن التيهان: واسمه مالك، وهو من قبيلة «بلي» وحليف لبني عبد الأشهل، كان يكره الأصنام في الجاهلية، ويتأفف منها، ويعدّ من أوائل من أسلم من الأنصار، شهد العقبتين، وبدراً وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وتوفي في خلافة عمر رضي الله عنه عام ٢٠ هـ، وأنجب فتاة اسمها أميمة.

(٢) سعد بن خيثمة: ويكنى أبا عبدالله، شهد العقبة، واستشهد يوم بدر رضي الله عنه، وقد رفض يومها أن يؤثر أباه بالخروج عندما طلب منه ذلك، وقال: لو كان غير الجنة آثرتك به، إني أرجو الشهادة في وجهي هذا، فاستهما فخرج سهم سعد فخرج مع رسول الله، وقد قتله عمرو بن عبد ود. وشهد ابنه عبد الله الحديبية مع رسول الله ﷺ.

(١) سعد بن عبادة: سيد الخزرج وأحد الأجواد المشهورين، شهد العقبة الثانية وكان أحد النقباء، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ سوى بدر فلم يخرج لها، ورشح لخلافة المسلمين بعد رسول الله ﷺ من قبل الأنصار، ثم بويع أبو بكر رضي الله عنه، وخرج سعد للجهاد، وتوفي في أرض الشام أيام أبي بكر، واشتهر من ولده قيس بن سعد وكان سيداً كريماً كأبيه، فارعاً في الطول، قائداً في الحروب.

يَــوْمُ بَــدْرٍ

هَاجَرَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ إِلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ إِلَىٰ أَنْصَارِهِ، وَهُنَاكَ آخَىٰ بَيْنَ ٱلْمُسْلِمِينَ فَآخَىٰ بَيْنَ أُسَيْدِ بْنِ ٱلْحُضَيْرِ وَبَيْنَ حِبِّهِ وَمَوْلَاهُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ، وَعَاشَ ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةً، وَٱسْتَدَارَ ٱلْعَامُ وَمَضَىٰ شَطْرٌ مِنَ ٱلْعَامِ ٱلثَّـانِـي، وَوَصَـلَ ٱلْخَبَـرُ إِلَـىٰ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ بِعَوْدَةِ عِيرِ أَبِي سُفْيَانَ مِنَ ٱلشَّامِ فَنَدَبَ ٱلْمُسْلِمِينَ إِلَيْهِمْ، وَقَالَ: هٰذِهِ عِيرُ قُـرَيْشٍ، فِيهَـا أَمْـوَالُهُـمْ، فَٱخْرُجُوا إِلَيْهَا لَعَلَّ ٱللهَ يُنَفِّلُكُمُوهَا. فَٱنْتَدَبَ ٱلنَّاسَ، فَخَرَجَ بَعْضُهُمْ وَتَأَخَّرَ بَعْضُهُمُ ٱلْآخَرُ، وَذٰلِكَ أَنَّهُمْ لَمْ يَظُنُّوا أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ ﷺ يَلْقَىٰ حَرْباً، وَٱلْعِيرَ لَا تَضُمُّ سِوَىٰ ثَلَاثِينَ رَجُلاً أَوْ أَرْبَعِينَ وَلَا يَحْتَاجُ هٰذَا إِلَىٰ نَفِيرِ ٱلْمَدِينَةِ كُلِّهَا. وَكَانَ أُسَيْدُ بْنُ ٱلْحُضَيْرِ مِمَّنْ تَأَخَّرَ.

وَكَانَتْ مَعْرَكَةُ بَدْرٍ، وَوَقَفَ قَبْلَهَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ سَيِّدُ ٱلْأَوْسِ، وَقَالَ مُخَاطِباً رَسُولَ ٱللهِ ﷺ: «يَا نَبِيَّ ٱللهِ، أَلَا نَبْنِي لَكَ عَرِيشاً تَكُونُ فِيهِ وَتَقْعُدُ عِنْدَكَ رَكَائِبُكَ ثُمَّ نَلْقَىٰ عَدُوَّنَا، فَإِنْ أَعَزَّنَا ٱللهُ وَأَظْهَرَنَا عَلَىٰ عَدُوِّنَا كَانَ ذٰلِكَ مَا

أَحْبَبْنَا، وَإِنْ كَانَتِ ٱلأُخْرَىٰ، جَلَسْتَ عَلَىٰ رَكَائِبِكَ فَلَحِقْتَ بِمَنْ وَرَاءَنَا، فَقَدْ تَخَلَّفَ عَنْكَ أَقْوَامٌ، يَا نَبِيَّ ٱللهِ، مَا نَحْنُ بِأَشَدَّ حُبّاً لَكَ مِنْهُمْ، وَلَوْ ظَنُّوا أَنَّكَ تَلْقَىٰ حَرْباً مَا تَخَلَّفُوا عَنْكَ، يَمْنَعُكَ ٱللهُ بِهِمْ، يُنَاصِحُونَكَ وَيُجَاهِدُونَ مَعَكَ». كَانَ سَعْدٌ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ يَعْرِفُ إِيمَانَ أُسَيْدٍ، وَيَعْرِفُ مَحَبَّتَهُ ٱلشَّدِيدَةَ لِرَسُولِ ٱللهِ ﷺ، وَيَعْلَمُ حَقِيقَةَ تَأَخُّرِهِ وَأَنَّهُ مَا كَانَ جُبْناً أَوْ خَوْفاً أَوْ رَغْبَةً فِي حَيَاةٍ وَإِنَّمَا كُلُّ عِلْمِهِ أَنَّ ٱلْهَدَفَ كَانَ ٱلْعِيرَ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ حَرْبٍ أَوْ كَيْدٍ.

وَٱنْتَصَرَ ٱلْمُسْلِمُونَ فِي بَدْرٍ ٱنْتِصَاراً عَظِيماً، وَرَجَعَ ٱلْمُسْلِمُونَ بَعْدَ ٱلْمَعْرَكَةِ إِلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ، وَكَانَ ٱلْخَبَرُ قَدْ وَصَلَ إِلَيْهَا قَبْلَهُمْ، وَخَرَجَ أُسَيْدُ بْنُ ٱلْحُضَيْرِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ لِيَسْتَقْبِلَ رَسُولَ ٱللهِ ﷺ فَلَقِيَهُ فَقَالَ لَهُ: ٱلْحَمْدُ للهِ ٱلَّذِي أَظْفَرَكَ وَأَقَرَّ عَيْنَكَ، وَٱللهِ يَا رَسُولَ ٱللهِ مَا كَانَ تَخَلُّفِي عَنْ بَدْرٍ وَأَنَا أَظُنُّ أَنَّكَ تَلْقَىٰ عَدُوّاً وَلٰكِنْ ظَنَنْتُ أَنَّهَا ٱلْعِيرُ، وَلَوْ ظَنَنْتُ أَنَّهُ عَدُوٌّ مَا تَخَلَّفْتُ. فَقَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ: صَدَقْتَ. وَلَمْ يَتَخَلَّفْ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ بَعْدَهَا عَنْ مَعْرَكَةٍ.

يَوْمُ أُحُدٍ

وَمَرَّ عَامٌ عَلَىٰ مَعْرَكَةِ بَدْرٍ، وَخَرَجَتْ قُرَيْشٌ مِنْ مَكَّةَ لِتَثْأَرَ، وَخَرَجَ لَهَا ٱلْمُسْلِمُونَ، وَسَارَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فِي ٱلطَّلِيعَةِ، وَٱلْتَقَىٰ ٱلطَّرَفَان فِي سَفْحِ أُحُدٍ، وَهُزِمَتْ قُرَيْشٌ، ثُمَّ أَعَادَتِ ٱلْكَرَّةَ بَعْدَ أَنْ هَبَطَ ٱلرُّمَاةُ مِنْ مَوْضِعِهِمْ، وَجَاءَهُمْ خَالِدُ بْنُ ٱلْوَلِيدِ[1] مِنَ ٱلْخَلْفِ، وَوَقَعَ ٱلْمُسْلِمُونَ بَيْنَ نَارَيْن فَٱنْكَشَفُوا، وَثَبَتَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ مَعَ رَسُول ٱللهِ ﷺ، وَجُرِحَ سَبْعَ جِرَاحَاتٍ كُلُّهَا ذَاتُ خَطَرٍ وَعُمْقٍ، فَقَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ: نِعْمَ ٱلرَّجُلُ أُسَيْدُ بْنُ ٱلْحُضَيْر.

وَعَادَ ٱلْمُسْلِمُونَ مِنَ ٱلْمَعْرَكَةِ وَقَدْ فَقَدُوا عَلَىٰ أَرْضِهَا سَبْعِينَ شَهِيداً، مِنْهُمْ عَمُّ رَسُول ٱللهِ ﷺ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ

---

(١) حضر خالد بن الوليد أحداً مع المشركين، إذ لم يكن قد أسلم بعد، وكان إسلامه في صفر من عام ثمانية للهجرة، وشهد بعدها مؤتة، وكسرت في يده تسعة أسياف. وقاد الفتوح في العراق والشام وتوفي رضي الله عنه عام ٢١هـ.

ٱلْمُطَّلِب[1] رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ. وَمَرَّ رَسُولُ ٱللهُ ﷺ بِدَارٍ مِنْ دُورِ ٱلأَنْصَار مِنْ بَنِي (عَبْدِ ٱلأَشْهَل) وَ(ظَفَـرٍ)، فَسَمِـعَ ٱلْبُكَـاءَ وَٱلنَّوائِحَ عَلَىٰ قَتْلاَهُمْ، فَذَرَفَتْ عَيْنَا رَسُول ٱللهِ ﷺ، فَبَكَىٰ ثُمَّ قَال: وَلٰكِنَّ حَمْزَةَ لاَ بَوَاكِيَ لَهُ، فَلَمَّا رَجَعَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ وَأُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ إِلَىٰ دَار بَنِي عَبْدِ ٱلأَشْهَل أَمَرَا نِسَاءَهُمْ أَنْ يَتَحَزَّمْنَ، ثُمَّ يَذْهَبْنَ فَيَبْكِينَ حَمْزَةَ بْنَ عَبْدِ ٱلْمُطَّلِب عَمَّ رَسُول ٱللهِ ﷺ. فَفَعَلْنَ، فَلَمَّا سَمِعَ رَسُولُ ٱللهِ بُكَاءَهُنَّ عَلَىٰ حَمْزَةَ خَرَجَ عَلَيْهِنَّ، وَهُنَّ عَلَىٰ بَاب مَسْجِدِهِ يَبْكِينَ، فَقَالَ: ٱرْجِعْنَ يَرْحَمْكُنَّ ٱللهُ، فَقَدْ آسَيْتُنَّ بِأَنْفُسِكُـنَّ، وَنَهَـىٰ يَـوْمَئِـذٍ عَـنِ ٱلنَّوْح.

---

(١) حمزة بن عبد المطلب: عمّ رسول الله ﷺ، ويكنى أبا عمارة، أسلم في السنة السادسة من بعثة رسول الله ﷺ، وهاجر إلى المدينة وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين زيد بن حارثة، وعقد له رسول الله أول لواء بعد الهجرة لسرية وصلت إلى سيف البحر، وأبلى بلاء كبيراً يوم بدر، واستشهد يوم أحد، وهو أخ لرسول الله ﷺ من الرضاعة من «ثويبة».

فِي غَزْوَةِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ

سَارَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ إِلَىٰ بَنِي ٱلْمُصْطَلِقِ وَقَدْ بَلَغَهُ أَنَّهُمْ يَجْمَعُونَ ٱلْجُمُوعَ لِغَزْوِ ٱلْمَدِينَةِ وَذٰلِكَ فِي أَوَائِلِ شَعْبَانَ مِنَ ٱلْعَامِ ٱلرَّابِعِ لِلْهِجْرَةِ، وَأَحَاطَ بِهِمْ فَلَمْ يُفْلِتْ مِنْهُمْ أَحَدٌ، وَٱسْتَوْلَىٰ ٱلْمُسْلِمُونَ عَلَىٰ دِيَارِهِمْ وَمَا فِيهَا، وَٱسْتَاقُوا أَمَامَهُمْ ٱلْخَيْلَ وَٱلشِّيَاهَ والإِبِلَ، وَسَبُوا ٱلنِّسَاءَ وَٱلذَّرَارِيَ، وَأَسَرُوا ٱلرِّجَالَ. وَلٰكِنَّهُمْ أَطْلَقُوا سَرَاحَ ٱلأَسْرَىٰ وَٱلسَّبَايَا بَعْدَ أَنْ تَزَوَّجَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ جُوَيْرِيَةَ بِنْتَ ٱلْحَارِثِ سَيِّدِ بَنِي ٱلْمُصْطَلِقِ بَعْدَ أَن ٱفْتَدَاهَا أَبُوهَا، ثُمَّ أَسْلَمَتْ وَأَبُوهَا.

عَادَ ٱلْمُسْلِمُونَ إِثْرَ هٰذِهِ ٱلْغَزْوَةِ إِلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ، وَأَثْنَاءَ ٱلطَّرِيقِ تَحَدَّثَ ٱلنَّاسُ فِي قِصَّةِ ٱلإِفْكِ، وَتَكَلَّمَ فِيهَا رَأْسُ ٱلْمُنَافِقِينَ عَبْدُ ٱللهِ بْنُ أُبَيِّ بْن سَلُولٍ.(١) وَتَأَثَّرَ رَسُولُ ٱللهِ

---

(١) عبد الله بن أبي بن سلول: أحد زعماء الخزرج، اتفق قومه في المدينة قبل الإسلام أن ينصبوه ملكاً عليهم، فلما جاء الإسلام تركوا هذا، وهاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة وأصبح سيدها، عدّ ابن أبي هذا الأمر منازعة له فحقد على الإسلام ورسوله، ورفض الإسلام، فلما انتصر الاسلام في =

ﷺ تأثُّراً بَليغاً حتَّىٰ تكلَّمَ في ذٰلِكَ عَلَىٰ ٱلْمِنْبَر فقَال: مَنْ يُعْذِرُني[1] مِنْ رَجُلٍ بَلَغَني أذَاهُ فِي أهْلِي؟ فَوَٱللهِ مَا عَلِمْتُ عَلَىٰ أَهْلِي إلاَّ خَيْراً، وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلاً مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إلاَّ خَيْراً، ومَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَىٰ أَهْلِي إلاَّ مَعِي. فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ ٱللهِ، أَنَا وَٱللهِ أُعْذِرُكَ مِنْهُ، إنْ كَانَ مِنَ ٱلأَوْسِ ضَرَبْنَا عُنُقَهُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ إخْوَانِنَا مِنَ ٱلْخَزْرَج أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا فِيهِ أَمْرَكَ.

ووَقَفَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ فقَالَ: يَا رَسُولَ ٱللهِ، إنْ يَكُونُوا مِنَ ٱلأَوْسِ نَكْفِكَهُمْ، وَإِنْ يَكُونُوا مِنْ إخْوَانِنَا مِنَ ٱلْخَزْرَجِ فَمُرْنَا بِأَمْرِكَ، فَوَٱللهِ إِنَّهُمْ لأَهْلٌ أَنْ تَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ.

فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عبَادَةَ، فَقَالَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ ٱللهِ لاَ نَضْرِبُ أَعْنَاقَهُمْ، أَمَا وَٱللهِ مَا قُلْتَ هٰذِهِ ٱلْمَقَالَةَ إلاَّ أَنَّكَ قَدْ عَرَفْتَ أَنَّهُمْ مِنَ ٱلْخَزْرَجِ، وَلَوْ كَانُوا مِنْ قَوْمِكَ مَا قُلْتَ هٰذَا!

فَقَالَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ ٱللهِ، وَلٰكِنَّكَ مُنَافِقٌ

= بدر، أظهر اعتناقه خوفاً على نفسه وأظهر النفاق وآذى المسلمين بلسانه، ومات بعد غزوة بني المصطلق.

(٢) يُعْذِرُني: يَنصفني، أَعْذَرَ فلاناً: أَنْصَفَهُ.

تُجَادِلُ عَن ٱلْمُنَافِقِينَ. لَمْ يَكُنْ سَعْدُ بْنُ عَبَادَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ إلاّ رَجُلاً صَالِحاً، وَهُوَ سَيِّدُ ٱلْخَزْرَج ، إلاَّ أَنَّ حُبَّ أُسَيْدٍ لِرَسُول ٱللهِ ﷺ ، وَتَأَثُّرَهُ مِمَّا قِيلَ جَعَلَهُ يَتَحَمَّسُ، وَيَطْلُبُ ٱلْقِصَاصَ مِنْ أُولٰئِكَ ٱلَّذِينَ تَكَلَّمُوا فِي حَادِثَةِ ٱلإِفْكِ وخَاصَّةً ذٰلِكَ ٱلْمُنَافِقَ عَبْدَ ٱللهِ بْنَ أُبَيٍّ ٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ[1] .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَاءُوا بِٱلإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ، لاَ تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَكُمْ، بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ، لِكُلِّ ٱمْرِىءٍ مِنْهُمْ مَا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلإِثْمِ ، وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ. لَوْلاَ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْراً وَقَالُوا هٰذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾[2] .

---

(١) تولى كبره: قال معظم ذلك القول .

(٢) سورة النور: ١١ ـ ١٢ .

مَعَ رَسُولِ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ

كَانَ أُسَيْدٌ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ ذَاتَ يَوْمٍ يُحَدِّثُ ٱلْقَوْمَ وَيَرْوِي لَهُمْ بَعْضَ ٱلطَّرَفِ فَسَرَّ رَسُولَ ٱللهِ ﷺ فَغَمَزَهُ رَسُولُ ٱللهِ فِي خَاصِرَتِهِ بِيَدِهِ.

فَقَالَ أُسَيْدٌ: أَوْجَعْتَنِي يَا رَسُولَ ٱللهِ.

فَقَالَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ٱقْتَصَّ مِنِّي يَا أُسَيْدُ.

فَقَالَ أُسَيْدٌ: إِنَّ عَلَيْكَ قَمِيصاً وَلَمْ يَكُنْ عَلَيَّ قَمِيصٌ حِينَ غَمَزْتَنِي. فَرَفَعَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ قَمِيصَهُ عَنْ جَسَدِهِ، فَهَجَمَ عَلَيْهِ أُسَيْدٌ وَبَدَأَ يُقَبِّلُ مَا بَيْنَ إِبْطِهِ وَخَاصِرَتِهِ وَهُوَ يَقُولُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ ٱللهِ، إِنَّهَا لَبُغْيَةٌ كُنْتُ أَتَمَنَّاهَا مُنْذُ عَرَفْتُكَ، وَقَدْ بَلَغْتُهَا ٱلْآنَ. وَيَقُولُ أُسَيْدٌ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ: جِئْتُ مَرَّةً إِلَىٰ رَسولِ ٱللهِ ﷺ فَذَكَرْتُ لَهُ أَهْلَ بَيْتٍ مِنَ ٱلْأَنْصَارِ فِيهِمْ مَحَاوِيجُ، وَجُلُّ أَهْلِ ذَلِكَ ٱلْبَيْتِ نِسْوَةٌ، فَقَالَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: لَقَدْ جِئْتَنَا يَا أُسَيْدُ بَعْدَ أَنْ أَنْفَقْنَا مَا بِأَيْدِينَا، فَإِذَا سَمِعْتَ بِشَيْءٍ قَدْ جَاءَنَا فَٱذْكُرْ لَنَا أَهْلَ ذَلِكَ ٱلْبَيْتِ.

فَجَاءَ رَسُولَ ٱللهِ ﷺ بَعْدَ ذٰلكَ مَالٌ مِنْ خَيْبَرَ فَقَسَّمَهُ بَيْنَ ٱلْمُسْلِمِينَ فَأَعْطَى ٱلأَنْصَارَ وَأَجْزَلَ، وَأَعْطَىٰ أَهْلَ ذَلِكَ ٱلْبَيْتِ وَأَجْزَلَ. فَقُلْتُ لَهُ: جَزَاكَ ٱللهُ عَنْهُمْ ـ يَا نَبِيَّ ٱللهِ ـ خَيْراً.

فَقَالَ ﷺ: وَأَنْتُمْ يَا مَعْشَرَ ٱلأَنْصَارِ جَزَاكُمُ ٱللهُ أَطْيَبَ ٱلْجَزَاءِ، فَإِنَّكُمْ ـ مَا عَلِمْتُ ـ أَعِفَّةٌ صُبُرٌ، وَإِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ أَثَرَةً بَعْدِي، فَٱصْبِرُوا حَتَّىٰ تَلْقَوْنِي، وَمَوْعِدُكُمْ ٱلْحَوْضُ.

فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ

وَشَهِدَ أُسَيْدٌ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ ٱلْمَشَاهِدَ كُلَّهَا مَعَ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ، وَتُوفِّيَ رَسُولُ ٱللهِ وَهُوَ عَنْهُ رَاضٍ.

وَٱنْتَقَلَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ إِلَىٰ ٱلرَّفِيقِ ٱلأَعْلَىٰ، وَجَاءَ ذٰلِكَ صَدْمَةً لِلْمُسْلِمِينَ، وَخَشِيَ ٱلأَنْصَارُ أَنْ يَتَأَلَّبَ ٱلأَعْرَابُ عَلَيْهِمْ، وَٱلْمَدِينَةُ بِلاَ حَاكِمٍ، فَٱجْتَمَعُوا لاِخْتِيَارِ خَلِيفَةٍ لِرَسُولِ ٱللهِ بِصِفَتِهِمْ أَكْثَرِيَّةَ سُكَّانِ ٱلْمَدِينَةِ وَأَهْلَهَا، وَنِقْمَةُ ٱلأَعْرَابِ إِنَّمَا تَنْصَبُّ عَلَيْهِمْ، فَٱلْتَقَوْا فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ، وَٱخْتَارُوا سَيِّدَ ٱلْخَزْرَجِ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ، وَوَصَلَ ٱلْخَبَرُ إِلَىٰ ٱلْمُهَاجِرِينَ فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَأَبُو عُبَيْدَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمْ، وَحَدَثَ نِقَاشٌ، فَوَقَفَ أُسَيْدٌ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ، وَٱلأَمْرُ قَرِيبٌ مِنْهُ لَوْ تَمَّ لِلأَنْصَارِ فَهُوَ سَيِّدُ ٱلأَوْسِ بِلاَ مُنَازِعٍ وَلٰكِنَّ ٱلْمَوْضُوعَ لَيْسَ بِزَعَامَةٍ وَلاَ بِغُنْمٍ، وَإِنَّمَا مَسْؤُولِيَّةٌ وَعَهْدٌ مَعَ ٱللهِ. وَقَفَ فَقَالَ: تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ ﷺ كَانَ مِنَ ٱلْمُهَاجِرِينَ، فَخَلِيفَتُهُ إِذَن يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مِنَ ٱلْمُهَاجِرِينَ. وَلَقَدْ كُنَّا أَنْصَارَ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ وَعَلَيْنَا ٱلْيَوْمَ أَنْ نَكُونَ أَنْصَارَ خَلِيفَتِهِ. وَلَوْ

تَوَلاَّهَا ٱلْخَزْرَجُ لَنَازَعهمُ ٱلأَوْسُ، وَلَوْ أَخَذَهَا ٱلأَوْسُ لَنَافَسَهُمُ ٱلْخَزْرَجُ، وَلٰكِنَّهَا لِلْمُهَاجرِينَ وَلَنْ يُنَافِسَهُمْ أَحَدٌ. فَسَكَتَ ٱلأَنْصَارُ، وَبَايَعَ ٱلنَّاسُ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وَكَانَ سَيدُنَا أَسَيْدٌ مِنْ أَوَّل ٱلْمُبَايعِينَ.

وَلَقَدْ كَانَ أُسَيْدٌ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فِعْلاً نَصِيراً لِخَلِيفَةِ رَسُولِ ٱللَّهِ ﷺ، يَنْصَحُهُ وَيُسَاعِدُهُ وَعَوْناً لَهُ فِي كُلِّ قَضِيَّةٍ مِنْ قَضِيَّةِ ٱلْمُرْتَدِّينَ حَتَّىٰ قَضِيَّةِ ٱلْبَيْعَةِ لِلْخَلِيفَةِ بَعْدَهُ، وَأَبُو بَكْرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يَسْتَشِيرُهُ فِي كُبْرَيَاتِ ٱلأُمُور، وَيُقَدِّمُهُ فَقَدْ كَانَ مِنْ عِلْيَةِ ٱلصَّحَابَةِ.

مَعَ بَيعَةِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنه

بَدَأَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ فِي أَوَاخِرِ حَيَاتِهِ يَسْتَشِيرُ ٱلصَّحَابَةَ فِيمَنْ يَلِي أَمْرَ ٱلْخِلاَفَةِ، وَيَسْأَلُهُمْ عَنْ عُمَرَ بْنِ ٱلْخَطَّابِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ بِصُورَةٍ خَاصَّةٍ، وَكَانَ مِمَّنْ ٱسْتَشَارَهُمْ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ، فَقَالَ أُسَيْدٌ: «ٱللّهُمَّ أَعْلَمُهُ ٱلْخِيرَةَ بَعْدَكَ، يَرْضَ لِلّرِضَا، وَيَسْخَطْ لِلسُّخْطِ، والذي يُسِرُّ خَيْرٌ مِنَ ٱلَّذِي يُعْلِنُ، وَلَنْ يَلِيَ هٰذَا ٱلأَمْرَ أَحَدٌ أَقْوَىٰ عَلَيْهِ مِنْهُ». مَا أَجْمَلَ هٰذَا ٱلْكَلاَمَ! وَحَبَّذَا لَوْ نَظَرْنَا إِلَيْهِ وَإِلَىٰ مَقَالَةِ زَعِيمِ ٱلْيَوْمَ يُسْأَلُ عَنْ رَجُلٍ لِمِثْلِ هٰذَا ٱلْمَنْصِبِ، وَهُوَ يَصْلُحُ لَهُ أَيْضاً.

مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه

يَقُولُ أُسَيْدٌ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ: لَمَّا آلَتِ ٱلْخِلاَفَةُ إِلَىٰ عُمَرَ بْنِ ٱلْخَطَّابِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قَسَمَ بَيْنَ ٱلْمُسْلِمِينَ مَالاً وَمَتَاعاً، فَبَعَثَ إِلَيَّ بحُلَّةٍ فَٱسْتَصْغَرْتُهَا. فَبَيْنا أَنَا فِي ٱلْمَسْجِدِ إِذْ مَرَّ بِي شَابٌّ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَيْهِ حُلَّةٌ سَابغَةٌ مِنْ تِلْكَ ٱلْحُلَلِ ٱلَّتِي أَرْسَلَهَا إِلَيَّ عُمَرُ، وَهُوَ يَجُرُّهَا عَلَىٰ ٱلأَرْضِ جرّاً؛ فَذَكَرْتُ لِمَنْ مَعِي حَدِيثاً قَالَهُ لِي رَسُولُ ٱللهِ ﷺ «إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ أَثَرَةً بَعْدِي» وَقُلْتُ: صَدَقَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ.

فَقَالَ رَجُلٌ لِعُمَرَ مَا قُلْتُ، فَجَاءَنِي مُسْرِعاً وَأَنَا أُصَلِّي، فَلَمَّا قَضَيْتُ صَلاَتِي أَقْبَلَ عَلَيَّ عُمَرُ وَقَالَ: مَاذَا قُلْتَ؟

فَأَخْبَرْتُهُ بمَا رَأَيْتُ وَبمَا قُلْتُ.

فَقَالَ عُمَرُ: عَفَا ٱللهُ عَنْكَ، تِلْكَ حُلَّةٌ بَعَثْتُ بِهَا إِلَىٰ فُلاَنٍ، وَهُوَ أَنْصَارِيٌّ عَقَبِيٌّ بَدْرِيٌّ أُحُدِيٌّ، فَٱشْتَرَاهَا مِنْهُ هٰذَا ٱلْفَتَىٰ ٱلْقُرَشِيُّ وَلَبِسَهَا. أَفَتَظُنُّ أَنَّ هٰذَا ٱلَّذِي أَخْبَرَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ يَكُونُ فِي زَمَانِي؟

فَقُلْتُ: وَٱللهِ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَقَدْ ظَنَنْتُ أَنَّ ذٰلِكَ لاَ يَكُونُ فِي زَمَانِكَ.

وَفَـاتُـهُ

تُوُفِّيَ سَيِّدُنَا أُسَيْدٌ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ فِي شَعْبَانَ سَنَةَ عِشْرِينَ أَيَّامَ خِلاَفَةِ سَيِّدِنَا عُمَرَ بْنِ ٱلْخَطَّابِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ، وَحَمَلَهُ ٱلْخَلِيفَةُ بَيْنَ ٱلْعَمُودَيْنِ مِنْ بَنِي عَبْدِ ٱلأَشْهَلِ حَتَّىٰ وَضَعَهُ بِٱلْبَقِيعِ وَصَلَّىٰ عَلَيْهِ بِٱلْبَقِيعِ.

تُوُفِّيَ أُسَيْدٌ وَعَلَيْهِ أَرْبَعَةُ آلاَفِ دِرْهَمٍ دَيْناً، وَكَانَ مَالُهُ يُغِلُّ كُلَّ عَامٍ أَلْفاً فَأَرَادُوا بَيْعَهُ فَبَلَغَ ذٰلِكَ عُمَرَ بْنَ ٱلْخَطَّابِ فَبَعَثَ إِلَىٰ غُرَمَائِهِ فَقَالَ: هَلْ لَكُمْ أَنْ تَقْبِضُوا كُلَّ عَامٍ أَلْفاً فَتَسْتَوْفُوهُ فِي أَرْبَعِ سِنِينَ؟ قَالُوا: نَعَمْ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ. فَأَخَّرُوا ذٰلِكَ فَكَانُوا يَقْبِضُونَ كُلَّ عَامٍ أَلْفاً.

عِبَادَتُهُ

كَانَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ كَثِيرَ ٱلْعِبَادَةِ وَبِخَاصَّةٍ فِي ٱللَّيْلِ، وَتَطِيبُ لَهُ قِرَاءَةُ ٱلْقُرْآنِ آنذَاكَ، وَكَانَ عَذْبَ ٱلصَّوْتِ ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ، فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1].

وَكَانَ مَرَّةً يَقْرَأُ سُورَةَ ٱلْكَهْفِ فِي جَوْفِ ٱللَّيْلِ وَبِجَانِبِهِ فَرَسُهُ، فَبَدَأَتْ تَجُولُ تَكَادُ تَقْطَعُ رِبَاطَهَا، فَتَوَقَّفَ عَنِ ٱلْقِرَاءَةِ فَسَكَنَتْ، وَلَمَّا عَادَ إِلَىٰ قِرَاءَتِهِ عَادَتْ فِي نُفُورِهَا، وَتَكَرَّرَ ذٰلِكَ عِدَّةَ مَرَّاتٍ، وَكَانَ ٱبْنُهُ يَحْيَىٰ بِجَانِبِهِ نَائِماً فَخَشِيَ عَلَيْهِ، وَحَانَتْ مِنْهُ ٱلْتِفَاتَةٌ نَحْوَ ٱلسَّمَاءِ فَرَأَىٰ غَمَامَةً، فَلَمَّا أَصْبَحَ سَأَلَ رَسُولَ ٱللهِ ﷺ فَقَالَ لَهُ:

« تِلْكَ ٱلسَّكِينَةُ تَنَزَّلَتْ لِلْقُرْآنِ وَلَوْ أَنَّكَ مَضَيْتَ فِي قِرَاءَتِكَ لَرَآهَا ٱلنَّاسُ وَلَمْ تَسْتَتِرْ مِنْهُمْ ».

---

(١) السجدة: ١٦ ـ ١٧.

عَن ٱلْبَرَاءِ بْن عَازبِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قَالَ: « كَانَ رَجُلٌ يَقْرَأُ سُورَةَ ٱلْكَهْفِ وَعِنْدَهُ فَرَسٌ مَرْبُوطٌ بشَطَنَيْن ، فَتَغَشَّتْهُ سَحَابَةٌ، وَجَعَلَ فَرَسُهُ يَنْفِرُ مِنْهَا ، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَىٰ ٱلنَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَ لَهُ ذٰلِكَ فَقَالَ: « تِلْكَ ٱلسَّكِينَةُ تَنَزَّلَتْ لِلْقُرْآن »[1] .

وَكَانَ أُسَيْدٌ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ يَؤُمُّ قَوْمَهُ فَٱشْتَكَىٰ فَصَلَّىٰ بِهِمْ قَاْعِدَاً ، فَصَلُّوا وَرَاءَهُ قُعُوداً[2]

(١) متفق عليه .

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد .

الفَهـْرِسُ

صفحة **الموضوع**